قطعة منه
ألمانيا

هذا كتاب الايمان

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين قال الامام ابو العباس احمد بن عبد الحليم
رضي الله عنه تضمن الحديث سوال النبي صلى الله عليه وسلم عن الاسلام و
الايمان والاحسان وجوابه صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقوله هذا جبريل
جاءكم يعلمكم دينكم فجعل هذا كله من الدين والناس في الاسلام والايما
ن عن الكلام الكثير مختلفون تارة ومتفرقون اخرى ما يحتاج معه الى
معرفة الحق في ذلك وهذا يكون بان تبين الاصول المعلومة المتفق عليها
ثم بذلك يتوصل الى معرفة الحقيقة المتنازع فيها فنقول قد علم بالكتا
ب والسنة والاجماع وهو من المنقول نقلا متواترا بل هو من المعلوم
بالاضطرار من دين الاسلام ان الناس كانوا على عهده صلى الله عليه وسلم
بالمدينة ثلاثة اصناف مؤمن وكافر مظهر الكفر ومنافق ظاهره
الاسلام وهو في الباطن كافر ولهذا انزل الله في اول سورة البقرة ذكر
الاصناف الثلاثة فانزل اربع ايات في صفة المؤمنين وايتين في
صفة الكافرين وبضع عشرة اية في صفة المنافقين وضرب لهم
مثلين احدهما بالنار والاخر بالماء كما ضربهما للمؤمنين في قوله انزل من
السماء ماء فسالت اودية بقدرها الاية واما قبل الهجرة فلم يكن الناس
الا مؤمن او كافر فان المسلمين كانوا مستضعفين فمن امن امن
باطنا وظاهرا فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة وصار
للمؤمنين بها عز ودخل جمهور اهلها في الاسلام طوعا كان من

اقاربهم

اقاربهم وغيرهم من اظهر الاسلام موافقة ورهبة او رغبة وهو في الباطن
كافر وراس هؤلاء ابن ابي وقد نزل فيه وفي امثاله ايات من البقرة وال
عمران والنساء والمائدة وسورة العنكبوت والاحزاب وكان هؤلاء
في اهل المدينة والبادية كما قال تعالى ومن حولكم من الاعراب منافقون
ومن اهل المدينة الاية وكان فيهم من هو في الاصل من المشركين وفيهم
من هو في الاصل من اهل الكتاب وسورة الفتح والقتال والحديد بل عامة
السور المدنية يذكر فيها المنافقين ثم ذكر ايات كثيرة الى ان قال و
المقصود بيان كثرة ما في القران من ذكرهم واوصافهم وهم في الظاهر
مسلمون وكانوا على عهده صلى الله عليه وسلم يلتزمون احكام الاسلام
الظاهرة لا سيما في اخر الامر ما لا يلتزمه كثير من المنافقين الذين بعدهم
لعز الاسلام وظهوره اذ ذاك بالحجة والسيف تحقيقا لقوله تعالى
هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله الاية
ولهذا قال حذيفة وكان من اعلم الصحابة بصفاتهم واعيانهم وكان
النبي صلى الله عليه وسلم قد اسر اليه عام تبوك اسماء جماعة منهم فلهذا
يقال صاحب السر الذي لا يعلمه غيره ويروى ان عمر كان لا يصلي على احد
حتى يصلي عليه حذيفة لئلا يكون منهم قال حذيفة النفاق اليوم اكثر
منه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية كانوا على عهد النبي
صلى الله عليه وسلم يسرونه واليوم يظهرونه وفي البخاري عن ابن ابي
مليكة ادركت ثلاثين من اصحاب محمد كلهم يخاف النفاق على نفسه
وقد اخبر الله عن المنافقين انهم يصلون ويزكون وانه لا يقبل منهم قال

واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى وقال وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم
الاية وكانوا يشهدون مع النبي صلى الله عليه وسلم مغازيه ولما كثرت الاعاجم
في المسلمين تكلموا بلفظ الزنديق وشاعت في لسان الفقهاء وتكلموا
فيه هل تقبل توبته في الظاهر ام لا ومنهم من فصل والزنديق في عرفهم هو
المنافق الذي كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن الناس من
يقول الزنديق هو الجاحد المعطل وهذا في اصطلاح كثير من اهل الكلام و
الذي تكلم الفقهاء في حكمه هو الاول لان مقصودهم التمييز بين الكافر و
غيره والمرتد وغيره ومن اظهر ذلك او اسره وهذا يشترك فيه جميع انواع
الكفار والمرتدين وان تفاوتت درجاتهم فان الله اخبر بزيادة الكفر
كما اخبر بزيادة الايمان كما اخبر بزيادة عذاب بعضهم كقوله الذين كفروا
وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا الاية وهذا اصل ينبغي معرفته
فانه مهم في هذا الباب فان كثيرا ممن تكلم في مسائل الايمان والكفر
لتكفير اهل الاهواء لم يلحظوا هذا الباب ولم يميزوا بين الحكم الظاهر و
الباطن مع ان الفرق بين هذا وهذا ثابت بالنصوص المتواترة والاجماع
المعلوم ومن تدبر هذا علم ان كثيرا من اهل الاهواء والبدع قد يكون
مؤمنا مخطيا جاهلا ضالا عن بعض ما جاء به الرسول وقد يكون
منافقا زنديقا يظهر خلاف ما يبطن وهذا اصل اخر وهو انه قد جاء
في الكتاب والسنة وصف اقوام بالاسلام دون الايمان فقال تعالى
قالت الاعراب امنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان
في قلوبكم الاية وقال فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها

غير

غير بيت من المسلمين وقد ظن طائفتان ان هذه تقتضي ان مسماهما واحد
وعارضوا بين الايتين وليس كذلك بل هي توافق الاولى لان الله اخبر انه
اخرج من كان فيها مؤمنا وانه لم يجد الا اهل بيت من المسلمين وذلك ان
امراته في اهل البيت الموجودين ولم تكن من المخرجين الذين نجوا وكانت في
الظاهر مع زوجها على دينه وفي الباطن مع قومها على دينهم خائنة لزوجها
تدل على اضيافه كما قال تعالى فخانتاهما وخيانتهما في الدين لا في الفراش فانها
ما بغت امراة نبي قط اذ نكاح الكافرة قد يجوز واما نكاح البغي فهو دياثة
وقد صان الله الانبياء عنه ولهذا كان الصواب تحريم نكاح البغي حتى
تتوب وبهذا تظهر حكمة القران حيث ذكر القران الايمان لما اخبر
بالاخراج وذكر الاسلام لما اخبر بالوجود وايضا فقد قال تعالى ان المسلمين
والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات وفرق بينهما فهذه ثلاث مواضع
في القران وفي الصحيحين عن سعد قال اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم
رجالا ولم يعط رجلا فقلت يا رسول الله هو مؤمن فقال او مسلم ثم
غلبني ما اجد فذكر مرتين او ثلاثا وذكر انه يعطي رجالا ويدع من هو
احب اليه منهم خشية ان يكبهم الله في النار قال الزهري فكانوا يرون
ان الاسلام الكلمة والايمان العمل فاجاب سعدا بجوابين احدهما ان
هذا قد يكون مسلما لا مؤمنا الثاني ان كان مؤمنا وهو افضل من
اولئك فانا قد اعطي من هو اضعف ايمانا لئلا يحمله الحرمان على الردة
ومن هذا اعطى المؤلفة قلوبهم حينئذ فهؤلاء الذين اثبت لهم الاسلام
دون الايمان هل هم المنافقون الكفار في الباطن ام يدخل فيهم قوم

فيهم بعض الايمان هذا مما تنازعوا فيه فقال طائفة هم المنافقون الذين
استسلموا في الظاهر ولم يدخل الى قلوبهم شيء من الايمان وقالوا ان الله
يقول ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه قالوا فما ليس من الاسلام فليس
بمقبول يوجب دخول الايمان فيه وقال الجمهور من السلف والخلف
بل هؤلاء قد لا يكونون كفارا بل معهم بعض الاسلام المقبول ويقولون
الاسلام اوسع من الايمان فكل مومن مسلم وليس كل مسلم مومنا ويقولون
في قول النبي صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني وهو مومن ولا يسرق السارق
حين يسرق وهو مومن انه يخرج من الاسلام ودوروا للاسلام دارة و
الايمان دارة اصغر منها في جوفها وقالوا اذا زنى خرج من الايمان الى
الاسلام ولا يخرجه من الاسلام الا الكفر ودليل ذلك انه قال قالت الاعراب
امنا قل لم تومنوا ولكن قولوا اسلمنا الايتين وقوله ولما يدخل الايمان
في قلوبكم ينفي به ما قرب وجوده وانتظر ولم يوجد بعد فنقول لمن
ينتظر غائبا لما يجي بعد فلما قالوا امنا قيل لم تومنوا بعد بل الايمان
مرجو ينتظر منهم ثم قال وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من اعمالكم
شيئا اي لا ينقصكم من اعمالكم شيئا اي في هذه الحال فانه لو اراد الطاعة
بعد الايمان لم يكن فيه فائدة لهم ولا لغيرهم اذا كان من المعلوم ان
المومنين يثابون على الطاعة وايضا فالخطاب لهؤلاء الذين لا يدخل
الايمان في قلوبهم فلو لم يكونوا في هذه الحالة مثابين على الطاعة
لكان خلاف مدلول الخطاب يبين ذلك ان وصف المومنين الذي
اخرج هؤلاء منهم فقال انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم

ع س
حين يزني
٢ الايمان لم

يرتابوا

يرتابوا وجاهدوا الاية وهذا نعت المحقق للايمان لا من معه مثقال ذرة منه
كما في قوله انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الايات ومنه قوله
لا يزني الزاني الى اخره وامثال ذلك فدل على ان الايمان المنفي عن
الاعراب هو هذا الذي نفي عن فساق اهل القبلة الذين لا يخلدون في
النار وبتحقيق هذا المقام يزول الاشتباه في هذا الموضع ويعلم ان في
المسلمين قسما ليس منافقا محضا ولا من المؤمنين الذين قيل فيهم انما
المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا فلا هم منافقون ولا هم
من هؤلاء الصادقين بل لهم طاعات ومعاص ومعهم من الايمان ما لا يخلد
معه في النار وله من الكبائر ما يستوجب دخول النار وهذا القسم قد يسميه
بعض الناس الفاسق الملي وهذا مما تنازع الناس في اسمه وحكمه والخلاف فيه
اول خلاف ظهر في الاسلام في مسائل اصول الدين فنقول لما قتل عثمان
وسار علي الى العراق وحصل بين الامة من الفتنة والفرقة يوم الجمل و
صفين ما هو مشهور خرجت الخوارج على الطائفتين جميعا وكان صلى
الله عليه وسلم قد اخبر بهم قال الامام احمد صح الحديث في الخوارج من عشرة
اوجه وهذه العشرة اخرجها مسلم في صحيحه وروى البخاري منها عدة اوجه
ومن اصحها حديث علي وابي سعيد ففي الصحيحين عن علي انه قال اذا حدثتكم
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا فوالله لان اخر من السماء الى الارض
احب الي من ان اكذب عليه وان حدثتكم فيما بيني وبينكم فان الحرب
خدعة واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج قوم في
اخر الزمان حدثاء الاسنان سفهاء الاحلام يقولون من خير قول البرية

لايجاوز ايمانهم حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فاينما
لقيتموهم فاقتلوهم فان قتلهم عند الله اجر لمن قتلهم يوم القيمة وفي
حديث ابي سعيد في الصحيح يخرجون في فرقة من الناس سيماهم التحليق ثم
قال شر الخلق او من شر الخلق تقتلهم ادنى الطائفتين الى الحق قال ابو سعيد
انتم قتلتموهم يا   وفي لفظ قتلتهم احدى الطائفتين الى الحق وهذا
مع ما ثبت في الصحيح انه صلى الله عليه وسلم قال للحسن ان ابني هذا سيد ولعل الله
ان يصلح به بين فئتين عظيمتين من المؤمنين فبين ان كلا الطائفتين
كانت مؤمنة وان اصلاحهما احب الى الله ورسوله من اقتتالهما وان لم يكن
مأمورا به فعلي واصحابه اقرب الى الحق من معاوية واصحابه وان قتال الخوارج
مما امر به النبي صلى الله عليه وسلم ولهذا اتفق على قتالهم الصحابة والائمة و
هؤلاء الخوارج لهم اسماء الحرورية لانهم خرجوا بمكان يقال له الحروراء ويقال
لهم اهل النهروان لان عليا قاتلهم هناك ومن اصنافهم الاباضية اتباع
عبد الله بن اباض والازارقة اتباع نافع بن الازرق والنجدات اصحاب نجدة
الحروري وهو اول من كفر اهل القبلة بالذنوب بل هم بما يرونه هم من الذنوب
واستحلوا دماء اهل القبلة بذلك فكانوا كما نعتهم النبي صلى الله عليه وسلم
يقتلون اهل الاسلام ويدعون اهل الاوثان وكفروا عليا وعثمان و
من والاهما وقتلوا عليا مستحلين لقتله وكانوا مجتهدين في العبادة
لكن كانوا جهالا فارقوا السنة والجماعة فقالوا ما الناس الا مؤمن وكافر
والمؤمن من فعل جميع الواجبات وترك جميع المحرمات فمن لم يكن كذلك
فهو كافر مخلد في النار ثم جعلوا كل من خالف قولهم كذلك فقالوا

ان

فقالوا ان عثمان وعليا ونحوهما حكموا بغير ما انزل الله وظلموا وصاروا
كفارا ومذهب هؤلاء باطل بدلائل كثيرة من الكتاب والسنة فان الله امر
بقطع يد السارق دون قتله ولو كان كافرا مرتدا لوجب قتله لان النبي
صلى الله عليه وسلم قال من بدل دينه فاقتلوه وقال لا يحل دم امرئ مسلم الا
باحدى ثلاث كفر بعد اسلام وزنا بعد احصان او قتل نفس يقتل بها
وامر سبحانه ان يجلد قاذف المحصن ثمانين جلدة ولو كان كافرا لامر بقتله
وكان النبي صلى الله عليه وسلم يجلد شارب الخمر ولم يقتله وايضا فان الله
تعالى قال وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما الآيتين
فوصفهم بالايمان والاخوة وامر باصلاح بينهم فلما شاع في الامة امر
الخوارج وتكلمت الصحابة فيهم ورووا عن النبي صلى الله عليه وسلم الاحاديث
فيهم وبينوا ما في القرآن من الرد عليهم ظهرت بدعتهم في العامة فجاءت
بعدهم المعتزلة اتباع عمرو بن عبيد الذين اعتزلوا الجماعة بعد موت الحسن
البصري وهم عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء الغزال واتباعهما فقالوا
لاهل الكبائر يخلدون في النار كقول الخوارج ولا نسميهم لا مؤمنين
ولا كفارا بل فساقا ننزلهم منزلة بين منزلتين وانكروا شفاعة النبي
صلى الله عليه وسلم لاهل الكباير وان يخرج احد من النار وقالوا ما الناس
الا رجلان رجل لا يعذب وشقي لا ينعم وهؤلاء يرد عليهم بمثل ما رد به
على الخوارج وقد قال الله في كتابه ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر
ما دون ذلك لمن يشاء فجعل ما دون الشرك معلقا بمشيئته ولا يجوز
ان يحمل على التائب لانه لا فرق في حقه بين الشرك وغيره كما في قوله ان

الله يغفر الذنوب جميعاً فهنا عمم واطلق لان المراد به التائب وهناك خصص
واطلق وقال تعالى ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الاية فقسم
سبحانه الامة التي اورثها الكتاب واصطفاها ثلاثة اصناف ظالم
لنفسه ومقتصد وسابق وهؤلاء الثلاثة ينطبقون على الطبقات الثلاث
المذكورة في حديث جبريل الاسلام والايمان والاحسان ومعلوم ان الظالم
ان اريد به من اجتنب الكباير او التائب من الذنوب فذلك مقتصد
او سابق فانه ليس احد من بني ادم يخلو عن ذنب لكن من تاب كان مقتصداً
وسابقاً وكذلك من اجتنب الكبائر كفرت عنه السيئات فلا بد ان يكون
هناك ظالم لنفسه موعود بالجنة ولو بعد عذاب يطهره من الخطايا فان
النبي صلى الله عليه وسلم ذكر ان ما يصيب المؤمن في الدنيا من المصائب هو
مما يجزى به وتكفر به خطاياه وايضاً فقد تواترت الاحاديث بخروج اقوام
من النار بعد ما دخلوها وانه صلى الله عليه وسلم يشفع في اقوام دخلوا
النار وهي حجة على الوعيدية الذين يقولون من دخلها لم يخرج وعلى
المرجئة الواقفة الذين يقولون لا ندري هل يدخل احد من اهل التوحيد
النار ام لا واما ما يذكر عن غلاتهم انه لا يدخل النار من اهل التوحيد احد
فلا نعرف مشهوراً من المنسوبين في العلم يذكر عنه هذا وايضاً فان
النبي صلى الله عليه وسلم قد شهد للشارب المجلود مرات انه يحب الله ورسوله
ونهى عن لعنته ومعلوم ان من احب الله ورسوله احبه الله ورسوله بقدر
ذلك وايضاً فالذين قذفوا عايشة كان فيهم مسطح من اهل بدر وقد
انزل الله فيه لما حلف ابو بكر لا يصله ولا ياتل اولو الفضل منكم الاية وان

قيل

قيل انه وامثاله تابوا لكن الله لم يشترط في الامر بالمعروف بالعفو عنهم والاحسان
اليهم التوبة وكذلك حاطب لما كاتب المشركين فلما اراد عمر قتله قال النبي
صلى الله عليه وسلم وما يدريك ان الله قد اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما
شئتم فقد غفرت لكم وفي الصحيح لا يدخل النار احد بايع تحت الشجرة و
هذه النصوص تقتضي ان تلك السيئات مغفورة بتلك الحسنات ولم
يشترط توبة والا فلا اختصاص لهم بهذه واذا قيل ان هذا لان احداً منهم لم
يكن له الا صغاير لم يكن ذلك من خصايصه وايضاً فقد دلت نصوص الكتاب
والسنة على ان عقوبة الذنوب تزول بنحو عشرة اسباب احدها التوبة و
هذا متفق عليه الثاني الاستغفار كما في الصحيح لو لم تذنبوا لذهب الله بكم
ولجاء بقوم يذنبون ثم يستغفرون فيغفر لهم وقد يقال ان الاستغفار
هو مع التوبة كما ان في حديث ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم مائة
مرة وقد يقال الاستغفار بدون التوبة ممكن واقع فان كان مع التوبة
فهو عام وان لم يكن معها فيكون في حق بعض المستغفرين الذين يحصل
لهم عنده من الخشية والانابة ما يمحو الذنوب كما في حديث البطاقة
لما قالها بنوع من الصدق والاخلاص كما غفر للبغي بسقي الكلب لما حصل
في قلبها اذ ذاك من الايمان وامثال ذلك كثير الثالث الحسنات
الماحية كما قال تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات وقال صلى الله عليه وسلم
الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات
لما بينهن اذا اجتنبت الكبائر وقال فتنة الرجل في اهله وماله وولده
تكفرها الصلوة والصيام والصدقة والامر بالمعروف والنهي عن

المنكر وقال من اعتق رقبة مؤمنة اعتق الله بكل عضو منها عضواً منه من
النار حتى فرجه بفرجه وهذه الاحاديث وامثالها في الصحاح وسوالهم
على هذا ان يقولوا الحسنات انما تكفر الصغاير كما جاء ما اجتنبت الكباير
فيجاب عن هذا بوجوه احدها ان هذا الشرط جاء في الفرايض كالصلوات
الخمس والجمعة وذلك ان الله يقول ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه نكفر
عنكم سيئاتكم فان الفرايض مع ترك الكباير مقتض لتكفير السيئات و
اما الاعمال الزايدة من التطوعات فلابد ان يكون لها ثواب اخر فان الله
سبحانه يقول فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره
الثاني انه قد جاء التصريح في كثير من الاحاديث بان المغفرة قد تكون
مع الكباير كما في قوله غفر له وان كان فر من الزحف وفي السنن اتينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم في صاحب لنا قد اوجب فقال اعتقوا
عنه يعتق الله بكل عضو منه عضواً منه من النار وفي الصحيحين و
ان زنا وان سرق الثالث ان قوله لاهل بدر اعملوا ما شئتم
فقد غفرت لكم ان حمل على الصغاير الرابع انه قد جاء في غير حديث
او مع التوبة لم يكن فرق بينهم وبين غيرهم فكما لا يجوز حمله على الكفر لما علم
انه لا يغفر الا بالتوبة لا يجوز حمله على الصغاير الخامس انه قد جاء في
غير حديث ان اول ما يحاسب عليه العبد يوم القيمة الصلوة فان اكملها
والا قيل انظروا هل له من تطوع فان كانت له اكملت به الفريضة ثم يصنع
بساير اعماله كذلك ومعلوم ان هذا النقص لا يكون ترك مستحب
فانه لا يحتاج الى جبران ولانه حينئذ لا فرق بين ذلك المستحب المفعول

والمتروك

والمتروك فعلم انه يكمل نقص الفرايض من التطوعات وهذا لا ينافي ما ورد
ان الله لا يقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة مع انه لو كان معارضاً لوجب تقديم
الاول لانه اثبت واشهر وهذا غريب رفعه وذلك لان قبول النافلة يراد
به الثواب عليه ومعلوم انه لا يثاب على النافلة حتى تؤدى الفريضة لانه
اذا فعل النافلة مع نقص الفريضة كان جبراً لها فلم يكن فيها ثواب نافلة
ولهذا قال بعض السلف النافلة لا تكون الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
لان الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وغيره يحتاج الى المغفرة وتاول
على هذا قوله ومن الليل فتهجد به نافلة لك ومن العجب ان المعتزلة يفتخرون
بانهم اهل التوحيد والعدل وهم في توحيدهم نفوا الصفات نفياً يستلزم
التعطيل والاشراك واما العدل الذي وصف الله به نفسه فهو لا يظلم
مثقال ذرة وانه من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً
يره وهم يجعلون جميع حسنات العبد وايمانه حابطاً بذنب واحد
من الكباير وهذا من الظلم الذي نزه الله نفسه عنه فكان وصف الرب
سبحانه بالعدل الذي وصف به نفسه اولى من العدل معهم هو التكذيب
بقدر الله السادس ان الله لم يجعل شيئاً يحبط جميع الحسنات الا الكفر
كما انه لم يجعل شيئاً يحبط جميع السيئات الا التوبة والمعتزلة مع الخوارج
يجعلون الكباير محبطة لجميع الحسنات حتى الايمان قال الله تعالى ومن
يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم الاية فعلق
الحبوط بالموت على الكفر وقال ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وقال
تعالى لما ذكر الانبياء ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون وقوله ذلك

بانهم اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه فاحبط اعمالهم لان ذلك كفر
وقوله لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الاية لان ذلك قد يتضمن الكفر
فيقتضي الحبوط وصاحبه لا يدري فنهاهم عن ذلك لئلا يفضي الى الكفر
ولا ريب ان المعصية قد تكون سببا للكفر كما قال بعض السلف المعاصي
بريد الكفر قال تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة
او يصيبهم عذاب اليم والفتنة الكفر وابليس خالف امر الله فصار كافرا
وغيره اصابه عذاب اليم وقد احتجت الخوارج والمعتزلة بقوله انما يتقبل
الله من المتقين قالوا فصاحب الكبيرة ليس من المتقين فلا يتقبل منه عملا و
اعظم الحسنات الايمان فلا يكون معه ايمان واجابتهم المرجئة بان المراد
من يتقي الكفر فقالوا لهم اسم المتقين في القران يتناول المستحقين للثواب
كقوله ان المتقين في جنات ونهر وابنا ادم حين قربا لم يكن المردود
قربانه حينئذ كافرا وانما كفر بعد ذلك وايضا فما زال السلف يخافون
من هذه الاية ولو اريد بها من يتقي الكفر لم يخافوا وايضا فاطلاق لفظ
المتقين والمراد به من ليس كافرا لا اصل له في خطاب الشارع والجواب
الصحيح ان المراد من اتقى الله في ذلك العمل كما قال الفضيل ان العمل اذا
كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل والخالص ان يكون لله والصواب ان
يكون على السنة فمن اتقى الكفر وعمل عملا ليس عليه امر النبي صلى الله عليه وسلم
لم يقبل منه واذا صلى بغير وضوء لم يقبل منه لانه لم يكن متقيا في ذلك العمل
وان كان متقيا للشرك وخوف من خاف من السلف الا يتقبل منه لخوفه
الا يكون اتى بالعمل على الوجه المامور وهذا اظهر الوجوه في استثناء من

ع صاحب

استثنى

استثنى في الايمان وفي اعمال الايمان كقول احدهم انا مؤمن ان شاء الله وصليت
ان شاء الله لا يجوز ان يراد بالاية ان الله لا يتقبل الا ممن اتقى الذنوب كلها
لان الكافر والفاسق حين يريد ان يتوب ليس متقيا وقد كان الناس
يسلمون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهم ذنوب معروفة
وعليهم تبعات فيقبل اسلامهم وقال تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم
بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء السبب السابع
الدافع للعقاب دعاء المؤمنين للمؤمن من مثل صلاتهم على جنازته
ففي مسلم عن ابن عباس رفعه ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته
اربعون رجلا لا يشركون بالله شيئا الا شفعهم الله فيه وهذا دعاء له بعد
الموت فلا يجوز ان تحمل المغفرة على المؤمن التقي لانه مغفور له عند
المنازعين فعلم ان هذا الدعاء من اسباب المغفرة الثامن ما
يعمل عنه من اعمال البر كالصدقة ونحوها فان هذا ينتفع به بنصوص السنة
الصحيحة واتفاق الائمة ولا يجوز ان يعارض بقوله وان ليس للانسان الا
ما سعى لوجهين احدهما انه قد ثبت بالنصوص المتواترة والاجماع ان
المؤمن ينتفع بما ليس من سعيه كدعاء الملائكة واستغفارهم له ودعاء
النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين واستغفارهم كقوله ومن الاعراب
من يؤمن بالله واليوم الاخر الاية الثاني ليس في ظاهرها الا انه ليس له
الا سعيه وهذا حق فانه لا يستحق الا سعيه واما سعي غيره فلا يستحقه لكن
هذا لا يمنع ان يرحمه الله وينفعه به كما انه يرحم عباده باسباب خارجة
عن مقدورهم وهو سبحانه برحمته وحكمته يرحم العباد باسباب يفعلها

العباد ليثيب اولئك ويرحم الجميع كما في الصحيح ما من رجل يدعو لاخيه بدعوة
الا وكل الله بها ملكا كلما دعا لاخيه قال الملك الموكل به امين ولك بمثل
التاسع في شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم في اهل الذنوب يوم القيمة
العاشر المصائب في الدنيا الحادي عشر ما يحصل في القبر من
الفتنة والضغطة والروعة الثاني عشر اهوال القيمة الثالث عشر رحمة
الله ومغفرته بلا سبب من العباد فاذا ثبت ان الذم والعقاب قد يدفع عن
اهل الذنوب بهذه الاسباب كان دعواهم ان عقوبات اهل
الكباير لا تدفع الا بالتوبة مخالفا لذلك فصل فهذان القولان
قول الخوارج الذين يكفرون بمطلق الذنوب وقول من يخلدهم في
النار ويقول ليس معهم من الايمان شيء لم يذهب اليهما احد من الائمة
وكذلك قول من وقف في اهل الكبائر من غلاة المرجئة وقال لا اعلم
ان احدا منهم يدخل النار بل السلف متفقون على ما تواترت به
النصوص من انه لا بد ان يدخل النار قوم من اهل القبلة ثم يخرجون و
اما من جزم بانه لا يدخل النار احد من اهل القبلة فلا اعرفه قولا لاحد
وبعده قول من يقول ما ثم عذاب اصلا وانما هذا تخويف بما لا حقيقة
له وهذا من اقوال الكفار وربما احتج بعضهم بقوله ذلك الذي يخوف الله
به عباده وهذا شبيه بقول الملاحدة والقرامطة ان الرسل خاطبوا
الناس بما لا حقيقة له في الباطن اذ كان لا يمكن تقويمهم الا بهذه الطريق
وقد اشبه هؤلاء في بعض الامور ملاحدة المتصوفة الذين يجعلون فعل
المامور وترك المحظور واجبا على السالك حتى يصير عارفا ويتاولون

قوله

قوله واعبد ربك حتى ياتيك اليقين واليقين ههنا الموت وما بعده
كقوله وكنا نكذب بيوم الدين حتى اتانا اليقين وهؤلاء قد يشهدون
القدر اولا وهي الحقيقة الكونية ذلك تميز فيه بين المامور والمحظور ثم
ينتقلون الى المشهد الثالث الذي لا طاعة ولا معصية وهو مشهد اهل
الوحدة وهذا غاية الحاد جهمية الصوفية كما ان القرمطة اخر الحاد الشيعة
وكل من الالحادين يتقاربان وفيهما من الكفر ما ليس في دين اليهود والنصارى
ومشركي العرب ثم بعد ذلك تنازع الناس في اسم المؤمن والايمان نزاعا منه
لفظي وكثير منه معنوي كتنازعهم في الايمان هل يزيد وينقص وهل يستثنى
فيه ام لا وهل الفاسق الملي كامل الايمان ام لا والماثور عن الصحابة والتابعين
وجمهور السلف ان الايمان قول وعمل يزيد وينقص والقول المطلق والعمل
المطلق في كلام السلف يتناول قول القلب واللسان وعمل القلب و
الجوارح فقول اللسان بدون اعتقاد القلب هو قول المنافقين ولا
سيما قول الا بالتقييد كقوله يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم ولا بد
ان يدخل فيه اعتقاد القلب اعمال القلب المقارنة لتصديقه مثل حب
الله وخشيته والتوكل على الله ونحو ذلك وانكر حماد بن ابي سليمان ومن
اتبعه تفاضل الايمان ودخول الاعمال فيه والاستثناء فيه وهؤلاء هم
مرجئة الفقهاء واما ابراهيم النخعي امام اهل الكوفة شيخ حماد ومن قبله من
اصحاب ابن مسعود وكانوا من اشد الناس مخالفة للمرجئة لكن حماد خالف
سلفه ومن تبعه ودخل في هذا طوائف ثم ان السلف اشتد انكارهم
على هؤلاء وتبديعهم وتغليظ القول فيهم ولم اعلم احدا منهم نطق بتكفيرهم

ومن نقل عن احمد او غيره تكفير الجهم فقد غلط غلطا شديدا عظيما و
المحفوظ عن احمد وامثاله انما هو تكفير الجهمية ولم يكفر القدرية اذا اقروا
بالعلم مع ان احمد لم يكفر اعيان الجهمية بل صلى خلفهم وكان يعتقد امامتهم
ويدعو لهم وهؤلاء المعروفون من الفقهاء مثل حماد وابي حنيفة كانوا
يجعلون قول اللسان واعتقاد القلب من الايمان لم يختلف قولهم في ذلك
ولا نقل عنهم انهم قالوا الايمان مجرد تصديق القلب لكن هذا حكوه عن الجهم
واشتد تكفيرهم له حتى اطلق وكيع واحمد وغيرهما كفر من قال ذلك وقال ان
فرعون وابا طالب واليهود وامثالهم عرفوا بقلوبهم وجحدوا بالسنتهم
واصل نزاع هذه الفرق في الايمان من الخوارج والمرجئة والمعتزلة وغيرهم
انهم جعلوا الايمان شيئا واحدا اذا زال بعضه زال جميعه فلم يقولوا بذهاب
بعضه وبقاء بعضه كما قال صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من كان في
قلبه مثقال ذرة من ايمان وعدوا السلف والجماعة متناقضين حيث قالوا
الايمان قول وعمل وقالوا مع ذلك لا يزول بزوال بعض الاعمال حتى ان ابن
الخطيب وامثاله جعلوا الشافعي متناقضا في ذلك وقد ذكر الاجماع

فلما صنف

الخطيب فيه وهو يقول بقول جهم والصالحي استشكل قول الشافعي ورآه
متناقضا وجماع شبهتهم ان الحقيقة المركبة تزول بزوال بعض اجزائها
كالعشرة قالوا فاذا كان الايمان مركبا من اقوال واعمال لزم زواله بزوال
بعضها لانه يلزم ان يكون الرجل مؤمنا بما فيه من الايمان كافرا بما فيه من
الكفر فيقوم به كفر وايمان واعتقدوا ان هذا خلاف الاجماع منقول ولا حول

ولا

ولا قوة الا بالله الكلام في طرفين احدهما ان شعب الايمان هل هي متلازمة
في الانتفاء والثاني هل هي متلازمة في الثبوت اما الاول فان الحقيقة الجامعة
لامور اذا زال بعضها قد يزول سائرها وقد لا يزول كما مثلوا به من العشرة
مطابق فان الواحد من العشرة اذا زال لم يلزم من زوال التسعة لكن ذلك المجتمع
المركب ما بقي على تركيبه واما زوال الاسم اولا هذا بحث لفظي اذا قدر ان الايمان
له ابعاض وشعب كما ان الصلوة والحج له اجزاء وشعب ولا يلزم من زوال
شعبة من شعبه زوال سائره والمركبات على وجهين منها ما يكون التركيب
شرطا في اطلاق الاسم ومنها ما لا يكون كذلك فالاول كاسم العشرة والسكنجبين
ومنها ما يبقى الاسم بعد زوال بعض الاجزاء فان المكيلات والموزونات تسمى
حنطة وهي بعد النقص حنطة وكذلك التراب والماء ونحو ذلك يطلق
الاسم عليها قليلها وكثيرها وعند زوال بعض الاجزاء وبقاء بعض وكذلك
لفظ القران فيقال على جميعه وعلى بعضه ولو نزل قران اكثر من هذا لسمي
قرانا وقد تسمى الكتب القديمة قرانا كقول النبي صلى الله عليه وسلم خفف على
داود القران وكذلك لفظ الانسان والفرس يقال على الحيوان المجتمع الخلق
ثم يذهب كثير من اعضائه والاسم باق اذا كانت المركبات على نوعين بل
غالبها من هذا النوع لم يصح قولهم اذا زال الجزء لزم ان يزول الاسم اذ
امكن ان يبقى الاسم مع بقاء الجزء الباقي ومعلوم ان اسم الايمان من هذا الباب
فان النبي صلى الله عليه وسلم قال الايمان بضع وسبعون شعبة اعلاها
قول لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق ومن المعلوم انه اذا زال
الاماطة ونحوها لم يزل اسم الايمان وفي الصحيحين يخرج من النار من كان

في قلبه مثقال حبة من ايمان فاخبر انه يتبعض ويبقى بعضه وان زال
من الايمان فيعلم اذا بعض الايمان يزول ويبقى بعضه وهذا ينقض ماخذهم
الفاسدة وبين اسم الايمان مثل اسم القران والصلوة والحج ونحو ذلك
والصلوة فيها اجزاء تنقص بزوالها عن كمال الاستحباب واجزاء تنقص بزوالها
عن الكمال الواجب مع الصحة في مذهب ابي حنيفة واحمد ومالك يبقى ان
يقال كما قال البعض الاخر قد يكون شرطا في ذلك البعض وقد لا يكون والشرط
كمن امن ببعض القران وكفر ببعض او ببعض الرسل وكفر ببعض وقد لا يكون
المتروك ليس شرطا في وجود الاخر ولا قبوله وحينئذ قد يجتمع في الانسان
ايمان ونفاق وبعض شعب الايمان وشعبة من شعب الكفر كما في
الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم قال اربع من كن فيه كان منافقا
خالصا ومن كان فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى
يدعها اذا حدث كذب واذا ائتمن خان واذا عاهد غدر وفي الصحيح عنه
من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بغزو مات على شعبة نفاق و
فيهما لا ترغبوا عن ابائكم فانه كفر بكم ان ترغبوا عن ابائكم وفيهما عنه ليس
من رجل ادعى الى غير ابيه وهو يعلمه الا كفر ومن ادعى ما ليس له فليس منا
وليتبوأ مقعده من النار ومن رمى رجلا بالكفر او قال عدو الله وليس
كذلك الا رجع عليه وذكر حديث الحديبية اصبح من عبادي مؤمن بي
وكافر وقال ابن عباس وغير واحد في قوله ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك
هم الكافرون كفر دون كفر وفسق دون فسق وظلم دون ظلم الاصل
الثاني ان شعب الايمان قد تتلازم عند القوة ولا تتلازم

عند الضعف

الضعف فاذا قوي ما في القلب من التصديق والمعرفة والمحبة اوجب
بغض اعداء الله كما قال تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون
من حاد الله ورسوله وقد يحصل من الرجل نوع من موادتهم لرحم او حاجة
فيكون ذنبا ينقص به ايمانه ولا يكون كافرا كما حصل من حاطب وكما حصل
من سعد لما انتصر لابن ابي ولهذه الشبهة سمى عمر حاطبا منافقا فكان
عمر متاولا للشعبة التي فعلها وكذلك قول اسيد بن حضير لسعد كذبت
لعمر الله لنقتلنه انما انت منافق تجادل عن المنافقين هو من هذا
الباب وكذلك قول من قال عن مالك بن الدخشن منافق انما قاله
لما راى فيه من نوع مودة للمنافقين ولهذا لم يكن المتهمون بالنفاق
نوعا واحدا بل فيهم المنافق المحض وفيهم من فيه ايمان ونفاق وفيهم
من ايمانه غالب وفيه شعبة نفاق وكان كثير ذنوبهم بحسب ظهور
الايمان ولما قوي الايمان عام تبوك صاروا يتعاتبون من النفاق
على ما لم يكونوا يتعاتبون عليه قبل ذلك ومن هذا ما يروى عن الحسن وغيره
انهم سموا الفساق منافقين فجعل اهل المقالات هذا مخالفا للجمهور
والحسن لم يقل ما خرج به عن الجماعة لكن سماه منافقا على الوجه الذي
ذكرناه ولهذا اكثر ما يقال كفر ينقل عن الملة وكفر لا ينقل ونفاق اكبر ونفاق
اصغر كما يقال الشرك شركان اكبر واصغر وفي الترمذي مرفوعا من حلف
بغير الله فقد اشرك وبهذا تبين ان الشارع ينفي اسم الايمان عن الشخص
لانتفاء كماله الواجب كقوله لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن وقوله
من غشنا فليس منا وبهذا تبين ان الرجل قد يكون مسلما لا مؤمنا ولا

منافقا مطلقا بل معه اصل الايمان دون حقيقته الواجبة ولهذا انكر احمد و
غيره من الامة على من فسر قوله فليس منا او ليس من خيارنا وقال هذا تفسير
المرجئة وكذلك تفسير المعتزلة بانه يخرج من الايمان بالكلية تاويل منكر الى
ان قال فلابد في الايمان الذي في القلب من تصديق بالله ورسوله وحب
الله ورسوله والا فمجرد التصديق ليس ايمانا باتفاق المسلمين وليس مجرد
التصديق والعلم يستلزم الحب الا اذا كان القلب سليما من المعارض و
الحسد والكبر ولا شيء احب الى القلوب السليمة من الله وهذا هو الحنيفية ملة
ابراهيم الذي اتخذه الله خليلا فالعلم يقوي العمل والعمل يقوي العلم فمن عرف
الله وقلبه سليم احبه وكلما ازداد له معرفة ازداد حبه وكلما ازداد حبه له
ازداد ذكره له ومعرفته باسمائه وصفاته كما ان البغض يوجب الاعراض عن ذكر
المبغض فمن عادى الله ورسوله كان ذلك مقتضيا للاعراض عن ذكر الله و
رسوله بالخير وعن ذكر ما يوجب المحبة فيضعف به علمه به حتى ينساه كما
قال تعالى ولا تكونوا كالذين نسوا الله الاية وقال ولا تطع من اغفلنا قلبه
عن ذكرنا الاية وقد حصل له مع ذلك تصديق وعلم فما من شرط الايمان بالله
وجود العلم التام ولهذا كان الصواب ان الجهل ببعض اسماء الله وصفاته
لا يكون صاحبه كافرا الا اذا كان مقرا بما جاء به الرسول ولم يبلغه ما يوجب
العلم بما جهله على وجه يقتضي كفره اذا لم يعلمه الحديث الذي امر اهله بتحريقه
بل العلماء بالله يتفاضلون في العلم به ولهذا يوصف من لم يعمل بعلمه
بالجهل وعدم العلم لقوله انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة
الاية وقال صلى الله عليه وسلم اذا كان احدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل و

الجهل

والجهل هنا هو الكلام الباطل ومن هنا سميت الجاهلية جاهلية وهي
متضمنة لعدم العلم او لعدم العمل به والنفس اذا حصل لها مرض ففسدت
احبت ما يضرها وابغضت ما ينفعها فتصير النفس كالمريض الذي يتناول
ما يضره لشهوة نفسه له مع علمه انه يضره وهذا معنى ما روي عن النبي صلى
الله عليه وسلم ان الله يحب البصر الناقد عند ورود الشبهات ويحب العقل
الكامل عند حلول الشهوات ورواه البيهقي مرسلا وقال تعالى انما المومنون
الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا الاية فاخبر ان هولاء هم الصادقون
في قولهم امنا ودل على ان الناس في قولهم امنا منهم صادق وكاذب والكاذب
فيه نفاق بحسب كذبه قال تعالى ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم
الاخر وما هم بمؤمنين الى قوله ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون وفي
الحديث اساس النفاق الذي بني عليه الكذب وقال فاعقبهم نفاقا في
قلوبهم الاية وعامة فرق الامة تدخل ما هو من اعمال القلوب حتى عامة فرق
المرجئة وانما نازع في ذلك من اتبع جهما منهم وهذا شاذ كما ان قول الكرامية
الذين يقولون مجرد قول اللسان شاذ وهذا مما ينبغي الاعتناء به قال كثير
ممن تكلم في مسئلة الايمان هل تدخل فيه الاعمال فظن ان ~~الاعمال~~ النزاع في
اعمال الجوارح وان المراد بالقول قول اللسان وهذا غلط بل القول المجرد
عن اعتقاد ليس ايمانا بالاتفاق الا من شذ من اتباع ابن كرام وكذلك
تصديق القلب الذي ليس معه حب الله ولا تعظيم لله بل فيه بغض وعداوة
لله ولرسوله ليس ايمانا بالاتفاق فليس مجرد التصديق بالباطن هو الايمان
عند عامة المسلمين الا من شذ من اتباع جهم والصالحي وفي قولهما من

العقلية والمخالفة في الاحكام الدينية اعظم مما في قول ابن كرام
وقول ابن كرام فيه مخالفة في الاسم دون الحكم فانه وان سمى المنافقين مؤمنين
يقول انهم مخلدون في النار **فصل** اذا عرفت ان اصل الايمان في
القلب فاسم الايمان يطلق تارةً على ما في القلب من الاقوال القلبية والاعمال
القلبية من التصديق والمحبة والتعظيم ونحو ذلك وتكون الاقوال الظاهرة
والاعمال لوازمه وموجباته ودلايله وتارةً على ما في القلب والبدن جعل المقتضى
للايمان داخلاً في مسماه وبهذا يتبين ان الاعمال الظاهرة تسمى اسلاماً فانها
تدخل في مسمى الايمان تارةً ولا تدخل فيه تارةً وذلك لان الاسم الواحد تختلف
دلالته بالافراد والاقتران فقد يكون عند الافراد فيه عموم المعنيين و
عند الاقتران لا يدل الا على احدهما كلفظ الفقير والمسكين اذا افرد احدهما
يتناول الاخر واذا جمع بينهما كان لكل واحدٍ مسمى يخصه وكذلك لفظ
المعروف والمنكر اذا اطلقا كما في قوله تعالى يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر
دخل فيه الفحشاء والبغي واذا قرن بالمنكر احدهما كقوله ان الصلوة تنهى
عن الفحشاء والمنكر او كلاهما كقوله وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي كان
اسم المنكر مختصاً بما خرج عن ذلك على قول او متناولاً للجميع بناء على ان
الخاص المعطوف على العام هل يمنع شمول العام له او يكون قد ذكر مرتين
والاقوال والاعمال الظاهرة موجب الاعمال الباطنة ولوازمها واذا افرد
اسم الايمان فقد يتناول هذا وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم الايمان
بضع وسبعون شعبةً اعلاها قول لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى
عن الطريق وحينئذٍ فيكون الاسلام داخلاً في مسمى الايمان وجزءاً منه

فيقا

فيقال حينئذٍ ان الايمان اسم لجميع الطاعات الباطنة والظاهرة ومنه
قوله صلى الله عليه وسلم لوفد عبد القيس امركم بالايمان بالله الى اخره ففسره
هنا بما فسر به الاسلام لانه اراد بالشهادتين هنا ان يشهد ان لا اله
الا الله بهما باطناً وظاهراً والخطاب للوفد وهم من اخيار الناس وهم اول
من صلى الجمعة بعد اهل المدينة واما اذا قرن الايمان بالاسلام فالايمان
في القلب والاسلام ظاهر كما في المسند الاسلام علانية والايمان في القلب
والايمان ان تؤمن بالله وملئكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت
وتؤمن بالقدر خيره وشره ومتى حصل هذا وجب ضرورة ان يحصل
الاسلام الذي هو الشهادتان والصلوة والزكوة والصيام والحج لان
الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله يقتضي الاستسلام له والانقياد
له ومن الممتنع ان يحب الانسان غيره حباً جازماً وهو قادر على مواصلته
ولا يحصل منه حركة ظاهرة الى ذلك وابو طالب انما كانت محبته للنبي
صلى الله عليه وسلم للقرابة لا لله وانما نصره للحمية ولهذا لم يتقبل الله ذلك
منه والا فلو كان عن ايمانٍ لتكلم بالشهادتين ضرورة والسبب الذي
اوجب نصره له وهو الحمية هو الذي اوجب امتناعه من الشهادتين
بخلاف التصديق ونحوه قال تعالى وسيجنبها الاتقى الى اخرها و
منشأ الغلط من وجوه احدها ان العلم والتصديق مستلزم لجميع
موجبات الايمان الثاني ظن الظان ان ما في القلوب لا يتفاضل
الناس فيه الثالث ظن الظان ان ما في القلب من الايمان لا يمكن
تخلف العمل الظاهر عنه الرابع ظن الظان ان ليس في القلب الا

التصديق وان ليس الظاهر الا عمل الجوارح والصواب ان القلب له
عمل مع التصديق وبكل حال فالعمل تحقيق المسمى الايمان وتصديق له
له ولهذا قال طائفة من العلماء الايمان كله تصديق فالقلب يصدق
ما جاءت به الرسل واللسان يصدق ما في القلب والعمل يصدق القول
كما يقال صدق قوله عمله ومنه قوله صلى الله عليه وسلم العينان
تزنيان وزناهما النظر والاذنان تزنيان وزناهما السمع واليد
تزني وزناها تناول الحرام والقلب يتمنى ويشتهي والفرج يكذب
ذلك او يصدقه والتصديق يستعمل في الخبر وفي الارادة يقال
فلان صادق القول وصادق المحبة وحملوا حملة صادقة ومن كان
مومنا بالله ورسوله بقلبه هل يتصور اذا راى الرسول واعداوه
يتقاتلون وهو قادر على ان ينظر اليهم ويحض على نصر الرسول
ما لا يضره هل يمكن مثل هذا في العادة الا يكون منه حركة ما الى
نصر الرسول فمن المعلوم ان هذا ممتنع فلهذا كان الجهاد المتعين
بحسب الامكان من الايمان وكان عدمه دليلا على انتفاء حقيقة
الايمان بل ثبت في الصحيح من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه
بالغزو مات على شعبة نفاق وفيه دلالة على انه يكون فيه بعض
شعب النفاق مع ما معه من الايمان ومنه قوله انما المومنون الذين
امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا الاية وفي الصحيح من راى منكم منكرا
فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه
وذلك اضعف الايمان وفي رواية وليس وراء ذلك من الايمان

حبة خردل فهذا يبين ان القلب اذا لم يكن فيه بغض ما يكرهه الله من
المنكرات كان عادما للايمان ومن المعلوم ان ابليس ونحوه يعلمون
ان الله عز وجل حرم هذه الامور ولا يبغضونها بل يدعون اليها و
ايضا فان الله تعالى قال الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب
يومنون بالجبت والطاغوت وقال فمن يكفر بالطاغوت ويومن
بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى فتبين ان الطاغوت يومن به
ويكفر به ومعلوم ان التصديق بوجوده وما هو عليه من الصفات
يشترك فيه المومن والكافر فان الاصنام والشيطان والسحر يشترك
في العلم بحاله المومن والكافر قال تعالى ولقد علموا لمن اشتراه ما له في
الاخرة من خلاق فهولاء الذين اتبعوا ما تتلو الشياطين ونبذوا
كتاب الله يعلمون ان لا خلاق لهم في الاخرة ومع هذا يكفرون وكذلك
المومن بالجبت والطاغوت اذا كان عالما بما يحصل من التفريق بين
المرء وزوجه ونحو ذلك من الجبت وكان عالما باحوال الشياطين
والاصنام وما يحصل بها من الفتنة لم يكن مومنا مع العلم باحوالها
ومعلوم انه لم يعتقد احد فيها انها تخلق وتفعل ما تشاء ونحو ذلك
من خصايص الربوبية ولكنهم يعتقدون انه يحصل بعبادتها نوع
من المطلوب كما كانت الشياطين تخاطبهم من الاصنام وتخبرهم
بامور وكما يوجد مثل ذلك في هذه الازمان وكان كفرهم هو
الخضوع لها والدعاء والعبادة واتخاذها وسيلة ونحو ذلك لا
مجرد التصديق بما يكون عنده ذلك من الاثار فان هذا يعلمه

العالم من المؤمنين لكنه يبغضه والكافر قد يعلم لكنه يحمله حب العاجلة
على الكفر يبينه قوله من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه
مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا الاية فذكر تعالى من كفر
بالله من بعد ايمانه وذكر وعيده ثم قال ذلك بانهم استحبوا الحيوة
الحيوة الدنيا على الاخرة يبين تعالى ان الوعيد استحقوه بهذا و
هؤلاء يقولون انما استحقوا للزوال التصديق وايضا فانه
استثنى المكره ولو كان الكفر لا يكون الا بتكذيب القول وجهله
لم يستثن منه المكره ولان الاكراه على ذلك ممتنع فعلم ان التكلم
بالكفر كفر الا في حال الاكراه وقوله ولكن من شرح بالكفر صدرا اي
لاستحبابه الدنيا على الاخرة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يصبح مؤمنا
ويمسي كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا والاية نزلت في عمار
وبلال واشباههما من المستضعفين لما اكرهوهم على سب النبي
صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك من الكلمات فمنهم من اجاب بلسانه
كعمار ومنهم من صبر على المحنة كبلال ولم يكره احد منهم على خلاف ما
في قلبه بل اكره هو على التكلم به فمن تكلم بدون الاكراه لم يتكلم الا
وصدره منشرح به وايضا فقد جاء نفر من اليهود الى النبي صلى الله عليه
وسلم فقالوا نشهد انك لرسول الله ولم يكونوا مسلمين بذلك لانهم
قالوه على سبيل الاخبار اي نعلم ونجزم انك رسول الله قال فلم لا تتبعوني
قالوا نخاف من يهود فعلم ان مجرد العلم والاخبار ليس بايمان حتى يتكلم
به على وجه الانشاء المتضمن للالتزام والانقياد فالمنافقون قالوا مخبرين

كاذبين

كاذبين فكانوا كفارا في الباطن وهؤلاء قالوها غير ملتزمين فكانوا كفارا
في الظاهر والباطن وكذلك ابو طالب كان يعلم نبوة محمد لكن امتنع من
الاقرار بالتوحيد والنبوة حبا لدين سلفه وكراهة ان يعيره قومه فلما لم
يقترن بعلمه الانقياد والحب الذي يعلمه يمنع ما يضاد ذلك من حب الباطل
وكراهة الحق لم يكن مؤمنا واما ابليس وفرعون واليهود ونحوهم فما قام
بانفسهم من الكبر وارادة العلو والحسد منع من حب الله وعبادة القلب
له الذي لا يقوم الايمان الا به وصار في القلب من كراهة رضوان الله
واتباع ما اسخطه ما كان كفرا لا ينفع معه العلم

فصل

والتفاضل
في الايمان بدخول الزيادة والنقص فيه يكون من وجوه متعددة احدها
الاعمال الظاهرة وهذا مما وقع الاتفاق على دخول الزيادة والنقصان
فيه وقول من قال الزيادة في العمل الظاهر لا في موجبه غلط فان تفاضل
معلول الاشياء ومقتضاها يقتضي تفاضلها في انفسها ومن هذا
يتبين الوجه الثاني وهو زيادة اعمال القلوب ونقصها فانه من
المعلوم بالذوق ان الناس يتفاضلون في حب الله ورسوله وخشية
الله والانابة اليه والتوكل والاخلاص وفي سلامة القلوب من الرياء
والكبر ونحو ذلك والرحمة بالخلق والنصح لهم ونحو ذلك وفي
الصحيحين ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان من كان الله
ورسوله احب اليه مما سواهما الى اخره وقال تعالى قل ان كان
اباؤكم وابناؤكم الاية وقال صلى الله عليه وسلم اني لاخشاكم
لله واعلمكم بحدوده وقال لعمر لا انت احب الي من كل شيء

الا نفسي فقال لا يا عمر حتى اكون احب اليك من نفسك قال فلانت احب
الي من نفسي قال الان يا عمر ومن هذا قول الذين قال لهم الناس ان الناس
قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا الاية ايمانا زادهم طمانينة وسكونا
الثالث ان نفس التصديق والعلم يتفاضل باعتبار الاجمال والتفصيل
فليس تصديق من صدق الرسول مجملا من غير معرفة بتفاصيل اخباره
لمن عرف ما اخبر به عن الله وليس من التزم طاعته مجملا ومات قبل ان
يعرف التفصيل كمن عاش حتى عرف ذلك مفصلا واطاعه فيه و
من امن بالرسول فلم يكذبه قط لكن اعرض عن معرفة امره ونهيه
وطلب العلم الواجب عليه بل اتبع هواه واخر طلب العلم فعلمه
ولم يعمل به فمن طلب علم التفصيل فعلم وعمل فايمانه اكمل والمقر بما جاء
به الرسول المعترف بذنبه في غفلة عما جاء به الرسول مع انه مقر
بنبوته ظاهرا او باطنا فكلما علم القلب فصدق قد وما امر به فالتزمه
كان زيادة في ايمانه وكذلك من عرف اسماء الله ومعانيها **الرابع**
ان الانسان قد يكون منكرا للامور لا يعلم ان الرسول اخبر بها ولو علم
لم يكذب ثم يسمع الاية او الحديث او يتدبره او يفسر له فيصدق بما
انكره وذلك تصديق جديد وايمان جديد والانسان يقرا الاية
مرات حتى سورة الفاتحة ويظهر له في اثناء الحال من معانيها ما لم يكن
خطر له قبل ذلك حتى كانها نزلت تلك الساعة فيؤمن بتلك
المعاني ويزداد علمه وعمله وهذا موجود في قرانا فتدبره
الخامس ان التفاضل يحصل من جهة الاسباب فمن كان

مستلزمة

مستلزمة ادلة توجب اليقين وتبين فساد الشبهة العارضة لم يكن كمن
ليس كذلك بل من حصل له علوم لا يمكنه دفعها عن نفسه لم يكن بمنزلة من
تعارضه الشبهة ويريد ازالتها بالنظر والبحث ولا يستريب عاقل ان العلم
بكثرة الادلة وبقوتها وبفساد الشبه ليس كالعلم الحاصل عن دليل واحد من غير
ان يعلم الشبه **السادس** من ان يقال ليس فيما يقوم بالانسان اعظم تفاوت
من الايمان مثاله ان الانسان يعلم تفاضل الحب الذي بقلبه لولده او
رياسته او غير ذلك فكما ان الحب اوله علاقة ثم صبابة ثم غرام ثم عشق
الى ان يصير متيما وهو التعبد ومتيم اسم عبد الله فيصير القلب عبدا
للمحبوب مطيعا له وقد ال الامر بكثير من عشاق الصور الى ما هو معروف
مثل قتل نفسه او الردة او زوال العقل او الخروج عن المحبوبات العظيمة
فمعلوم ان التفاضل في حب الله اعظم والناس يتفاضلون في حب الله
ما بين افضل الخلق محمد وابراهيم الى من كان في قلبه مثقال ذرة من
ايمان وما بينهما من الدرجات لا يحصيه الا الله فانه ليس في اجناس
المخلوقات ما يتفاضل بعضه على بعض كبني ادم فان الفرس الواحد
ما يبلغ الف الف فرس وفي الصحيحين عن ابي ذر انه كان جالسا
عند النبي صلى الله عليه وسلم فمر رجل من اشراف الناس فقال اتعرف هذا
قلت نعم يا رسول الله هذا حري ان خطب ينكح وان قال يستمع لقوله
وان غاب ان يسال عنه ثم مر رجل من الضعفاء فقال اتعرف
هذا قلت نعم يا رسول الله هذا حري ان خطب لا ينكح وان قال
لا يستمع لقوله وان غاب لا يسال عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

هذا خير من مَلئ الارض من هذا